فعل القراءة القصصية وتفعيل الذكاء عند الطفل– بين الجمالية وتشكل الشخصية-

Narrative reading and activation of the child's intelligence: betweenaesthetics and personality

توفيق قحام 1،*

مخبر البحث في الدراسات السوسيو أدبية والسوسيو لغوية والسوسيو تعليمي

[1]جامعة جيجل، (الجزائر)toufikgueham5@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2022/09/01 **تاريخ المراجعة**:2023/07/24 **تاريخ النشر**: 2023/10/10

ملخص:

تعمل هذه الدراسة على الكشف عن المؤثرات الذهنية والإدراكية لفعل القراءة القصصية في تكوين شخصية الطفل، ولما كانت القصة من أهم الروافد الإبداعية والتكوينية الفاعلة في تكوين الأفراد فقد قمنا بالبحث في التساؤلات التالية، مدى تأثير القصة في تحديد كينونة الطفل المستقبلية وعلاقة القراءة بالذكاء والشخصية عند الطفل، وتوصلنا إلى تحديد أهمية القراءة كفعل إنتاجي في تكوين الذات وتوسيع المدركات وتحريك الخيال الداخلي للطفل.

الكلمات المفتاحية: طفل، قراءة، ذكاء، فعل قصصي، شخصية

***Abstract**:*

This study aims at unveiling the cognitive and methodological effects of narrative reading on the formation of the child personality through a focus on the structural and artistic elements of this literary genre. In fact, contemporary research supports the effect of reading on the formation of the future personality and intellectual tendencies of the child; it equally, supports the fact that narration is one of the most creative and formative means for the child development. Hence, this study tries to answer whether narration has an impact on the personality of the child and whether there is a relationship between reading and the intelligence and personality of the child.

The results established the importance of reading in self-formation, expanding perception, stimulating inner imagination, creating fun, and promoting feel for aesthetics.

***Keywords**:Child, reading, intelligence, narration act, personality.*

*المؤلف المراسل

تقديم:

فرضت عملية القراءة نفسها كنظرية نصانية تتعلق بالوعي والإدراك والتلقي والفهم والتأويل، لتنفتح على عوالم نصية مختلفة، مغترفة في ذلك من سابقاتها في المنعرج النقدي، سواء فيما تعلق بالنسق والسياق، ولما كان هذا حالها فقد انفتحت أيضا على نوعية القارئ المستقبل للخطاب، ومن أهم ما انفتحت عليه "الطفل"، هذا الأخير الذي لم تعد القراءة عنده فعلا سلبيا كما يعتقد البعض، بقدر ما تحولت إلى عملية تكوينية إنتاجية منفتحة على إعادة بناء النص من منطلق بناء الشخصية، ولعل هذا ما جعلنا نحاول البحث عن طبيعة هذا المنعرج الأدائي ودوره في تكوين شخصية هذا الكائن المبتدئ، من خلال التركيز على فن القصة بوصفها النموذج الأقرب إلى الطفل عبر مراحله العمرية، بما تحتويه من حركة وتشكيل بصري يتماثل مع تنشئته ومدركاته العقلية، محاولين طرح إشكالية جوهرية متعلقة بـ: دور القصة في تحريك الجوانب الإدراكية والشخصية والجمالية عند الطفل منة خلال تلقي هذا الفن؟.

ولقد حاولنا في هذه الدراسة الوقوف على تصور منهجي قائم على ضبط المفاهيم المتصلة بالطفل والقراءة، ثم الانتقال إلى مراحل القراءة وأهميتها عند الطفل، وصولا إلى اختيار المادة المقروءة، مع تناول أثر المواد المقروءة والمحببة على ذكاء الأطفال، وهنا قدمنا القصة بوصفها نموذجا فاعلا في تكوين الشخصية وتحريك القدرات الإدراكية والأدائية لهذا الفرد المتشكل، وإظهار أهم المؤثرات الأولية في كتاب القصة المتعلقة به (الطفل).

وقبل الخوض في تأثيرات فعل القراءة والتلقي في أدب الطفل، يتعين علينا معرفة المعاني والدلالات اللفظية والاصطلاحية للقراءة ولأدب الطفل على السواء.

أولا-من هو الطفل؟:

1-لغة:

ارتبطت لفظة "طفل" في المعاجم بكل ماهو رطب ناعم وفتي، أي أنه كل شيء مبتدئ في أصله ومنشئه، قائم على البداية والانطلاق، فقد ورد في لسان العرب لفظ طَفْلُ بمعنى:"الرَّخْصُ الناعِمُ من كلّ شيءٍ ج :طِفالٌ وطُفولٌ، وهي طَفْلَةٌ .طَفُلَ طَفَالَّةً وطُفُولَةً .طِفْلُ :الصَّغيرُ من كلّ شيءٍ، أو المَوْلودُ، ووَلَدُ كلّ وحْشِيَّةٍ أيضاً، فيقول ابن منظور :"قَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ: الصَّبِيُّ يُدْعَى طِفْلًا حِينَ يَسْقُطُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ إِلَى أَنْ يَحْتَلِمَ، وَفِي حَدِيثِ الِاسْتِسْقَاءِ: وَقَدْ شُغِلَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ عَنِ الطِّفْلِ؛ أَيْ شُغِلَتْ بِنَفْسِهَا عَنْ وَلَدِهَا بِمَا هِيَ فِيهِ مِنَ الْجَدْبِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: تَذْهَلُ كلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ، وَقَوْلُهُمْ: وَقَعَ فُلَانٌ فِي أَمْرٍ لَا يُنَادَى وَلِيدُهُ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا؛ قَالَ الزَّجَّاجُ: طِفْلًا هُنَا فِي مَوْضِعِ أَطْفَالٍ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ ذِكْرُ الْجَمَاعَةِ، وَكَأَنَّ مَعْنَاهُ: ثُمَّ يُخْرِجُ كلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ طِفْلًا، وَقَالَ تَعَالَى: أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَالْعَرَبُ تَقُولُ: جَارِيَةٌ طِفْلَةٌ وَطِفْلٌ، وَجَارِيَتَانِ طِفْلٌ، وَجَوَارٍ طِفْلٌ، وَغُلَامٌ طِفْلٌ، وَغِلْمَانٌ طِفْلٌ، وَيُقَالُ: طِفْلٌ، وَطِفْلَةٌ، وَطِفْلَانِ، وَأَطْفَالٌ، وَطِفْلَتَانِ، وَطِفْلَاتٌ فِي الْقِيَاسِ، وَالطِّفْلُ: الْمَوْلُودُ: وَوَلَدُ كلّ وَحْشِيَّةٍ أَيْضًا طِفْلٌ، وَيَكُونُ الطِّفْلُ وَاحِدًا وَجَمْعًا مِثْلَ الْجُنُبِ، وَغُلَامٌ طَفْلٌ إِذَا كانَ رَخْصَ الْقَدَمَيْنِ وَالْيَدَيْنِ، وَامْرَأَةٌ طَفْلَةُ الْبَنَانِ: رَخْصَتُهَا فِي بَيَاضٍ بَيِّنَةُ الطُّفُولَةِ، وَقَدْ طَفُلَ طَفَالَةً أَيْضًا؛ وَبَنَانٌ طَفْلٌ، وَإِنَّمَا جَازَ أَنْ يُوصَفَ الْبَنَانُ، وَهُوَ جَمْعٌ بِالطَّفْلِ، وَهُوَ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّ كلَّ جَمْعٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ إِلَّا الْهَاءُ فَإِنَّهُ يُوَحَّدُ وَيُذَكَّرُ"[1].

فالطفل وفق هذا التعريف الجامع هو المولود الذي لم يبلغ الحلم بعد، أو سن التكليف التي تجعله مرتبطا بالواجب والحلال والحرام والمسؤولية والعقاب، وهناك من يتجاوزه إلى صغير كل شيء من الدواب أو الوحشية، فهو كل صغير من ناحية الحجم (الشكل)، أو العقل (التمييز الفكري)، وهو مايعني قابلية الاكتساب والتلقي، وفتح الطريق أمام قدرة هذا الكائن على الاكتساب، أين يأتي الدور على البالغ من الأبوين، أو المعلم، أو المجتمع، لتلقينه المعرفة التي تهيئه لمواجهة الحياة.

كما يمكننا القول بأن كلمة طِفلٌ بِكسرِ الطاءِ هي مفردة جمعها أطفال، وهي تعني الجزء من الشيء، والكائن ما دامَ ناعِماً لم يبلغ بعد، وهو كما جاء في أغلب المعاجم، الطّفل بمعنى أول الشيء وبدايته، وأولُ حياة المولودِ حتى بلوغه، ويطلق على الذكر والأنثى، فهو لا يقتصر على جنس فقط من النوع، بل يتعداه في ذلك ليرتبط بالجنسين معا.

2-اصطلاحا:

بلانتقال إلى المفهوم الاصطلاحي للطفل نجد أنه يرتبط كثيرا بالمعطى الاجتماعي المتعلق بالتنشئة والنمو والتطور، إذ لم يختلف عن الدلالة اللغوية التي تجعله رجل المستقبل، فهو ذلك الفرد الصغير من المجتمع، الذي يتميز بالبنية الجسمية الصغيرة والحس العفوي البسيط، بالإضافة إلى المعرفة السطحية، مع وجود قابلية واستعداد ذهني وجسدي للنمو والتطور بطريقة سريعة وعبر مراحل متعاقبة والمرتبة وفق معطى زمني محدد، إذن فهو مبنيٌّ على المرحلة العمريّة الأولى من حياة الإنسانِ والتي تبدأُ بالولادةِ، وتستمر إلى سن البلوغ، وقد عبَّرت آياتُ القرآنِ الكريم عن هذه المرحلة لتضع مفهوماً خاصّاً لمعنى الطفل، وهو كما جاء في قوله تعالى: (**ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا**) **سورة الحج الآية(05)**، إذ تَتَّسمُ هذه المرحلة المُبكّرة من عمر الإنسانِ باعتمادِه على البيئة المُحيطة به كالوالدين والأشقّاء بصورة شبه كليَّة، وتَستمرّ هذه الحالة حتَّى سنَّ البلوغَ، وهي السن التي يستطيع من خلالها مواكبة الأحداث بطريقة مسؤولة، فالمسؤولية والجزاء هما أهم محددين للمرحلة الجديدة في حياة الطفل.

وقد اهتمت الدراسات المعاصرة بتعريف ودراسة المستويات الذهنية للطفل عبر مراحل تطوره ونموه من زوايا مختلفة، منها ماهو مرتبط بالتلقي والفهم والإدراك، ومنها ما هو مرتبط بالمشاهدة والتأمل والنمو العفوي المتصل بالفطرة. "فالنمو البدني غير منفصل عن النمو المعرفي، ولا بحدث النمو الانفعالي بمعزل عن النمو الاجتماعي النفسي، وينبغي النظر للأطفال ككل متكامل"[2] فالطفل هو ذلك الكيان المركب والمبني على عناصر نفسية واجتماعية وجسمية متغيرة وفق مراحل زمنية متعاقبة.

ثانيا-مرحل الطفولة:

اختلف العُلماءُ والدارسون في تقسيمهم لمراحلِ نمو الطفل والإنسان بشكل عام، إلا أن أغلب الدراسات النفسية والاجتماعية أجمعت على تحديد أربعة مراحل متتالية للنمو:

-مرحلة الطفولة الأولى: تبدأُ هذه المرحلة بولادةِ الجنينِ وتستمرُّ إلى حدودِ السنة السابعة من عمره.

-مرحلة الطفولة الثانية: وتبدأ بانتهاء الطفولة الأولى عند سن السابعة لتستمرَّ إلى السنة الثانية عشر من عمر الطفل.

-مرحلة المُراهقة والبلوغ: وتبدأُ حدودها عند السنة الثالثة عشر من عمر الفرد وتستمرّ للسنة الحادية والعشرين من عمره.

-مرحلة الرُّشد: ويَبلُغها الفردُ إذا بلغ العام الحادي والعشرين من عمره.

والملاحظ في هذه المراحل أنها ليست ملكا لدارس معين، وإنما هي تقسيمات تاريخية ودينية واجتماعية وفيزيولوجية، تخضع للنمو والنضج والتكليف والمسؤولية، مع مراعاة الخبرة والممارسة والإبداع والقصدية، ولعل هذه الأخيرة هي أهم ميزة يمكن الرجوع إليها في ضبط وتحديد مسارات النمو والتطور والتصنيف في حياة الإنسان، فالقصد في مرحلة الطفولة يكون غائبا وغامضا، وهو في مرحلة المراهقة والبلوغ يتحول إلى وهم يحسبه الفرد حقيقة،لكنه يتحول إلى خيال متصل بالرغبة في التميز والسلطة، أما في مرحلة الرشد ففعل القصد يتحول إلى إلزامية تركيبة مبنية على الجزاء والعقاب والحق والواجب، وهي كلها عناصر مهمة في تأثيثالشخصية الداخلية للفرد.

ثالثا-تعريف القراءة:

يمكن تعريف القراءة على أنها عملية نفسية وعقلية في الآن ذاته. تتضمن القدرةَ على تحويل الرموز المكتوبة إلى منطوقة. وتُعَد القراءة واحدة من العمليات النفسية الأساسية التي تتطلب عددًا من العمليات العقلية اللازمة لظهورها خاصة لدى الأطفال العاديين، كما تُعَد القراءة إحدى المهارات الأساسية المكوِّنة للبُعد المعرفي بالنسبة للفرد، وهدفًا رئيسًا من أهداف المدرسة على مراحل مختلفة، وطريقة رئيسة من طرق الوصول إلى المعرفة. وبالإجمال يمكن القول أن:

1) القراءة عملية مهارية نفسية تتطلب عددًا من العمليات العقلية.
2) القراءة مهارة أساسية مكوِّنة للبُعد المعرفيِّ، وطريقة مُثْلى للوصول إليها، ويمكن أيضًا تنمية الجانب الثقافي والاجتماعي والاقتصادي.

ولعل هذا ما يؤكده أحد الدارسين في قوله: "القراءة ممارَسة ثقافية واجتماعية، وهي ظاهرةٌ صحية في تاريخ الشعوب والأمم، إنها عادةٌ فردية لا تقبَل الوراثة، فليس حتمًا أن تنجب العائلةُ القارئة بكثرة أطفالاً قارئين بكثرة، والعكس صحيح؛ ذلك أن الدراساتِ والواقع يضعان الباحث أمام مفارقةٍ، هي أن العديدَ من الفقراء ينجبون أولادًا لديهم لذَّة القراءة، ويظلون مشدودين للكتاب والمجلة والجريدة والوسائل السمعية - البصرية، متجاوزين عدم توفر الإمكانيات المادية، وتكون النتيجة هي أنهم يحققون أهدافَهم، ويتسلَّقون السلالمَ الاجتماعية"[3]. فعملية القراءة محكومة بالوعي والتقبل والفائدة، وتقوية النفس ومعالجتها من الوهم.

وإذا تتبعنا فعل القراءة بطريقة أعمق وأبلغ وأكثر إنتاجية وبساطة في الآن ذاته، فإنه يمكننا القول بأنها تعني ذلك "الحوار المفتوح مع النص"[4]، أي أن الطفل بوصفه أحد القراء من شأنه أن يتعلم من البداية فن المحاورة والنصية وإعادة إنتاج هذه المركبات اللغوية بطريق مختلفة في الذهن، فالاكتساب والتحصيل أهم سمة في محاورة النص، وقد أسماه الناقد الإيطالي امبيرتو إيكو(U.Eco) بـ"العمل المفتوح"[5]، فالقراءة تعني الانفتاح على عوالم جديدة محركة لوعي الذات، ومنتجة للمعرفة أو دافعا حاسما لها، فهي عملية إيجابية متصلة بتلقي النص وبناء الخطاب.

رابعا-مراحل اهتمام الطفل بالقراءة :

تمر عملية الاهتمام بالقراءة عند الطفل عبر مراحل عمرية متتالية وفقا للقابلية العقلية والقدرة الإدراكية المتاحة لذلك مع وجود تفاوت بين الأطفال مرده الوسط العائلي الذي يتربى فيه، والذي يحرك بداخله الرغبة والتعلق، ويرى الباحثون في سلوك الطفل أن مرحل تشكل الاهتمام عند بالقراءة، وانشغاله بها تكون كمايلي:

1-المرحلة الأولى: تبدأ من ستة أشهر إلى سنتين وفيها يبدأ الطفل بالانجذاب إلى الكتاب وتقليب الصفحات وتمزيقها واللعب بها

2-المرحلة الثانية: تبدأ من السنة الثانية حينما يبدي الطفل بعض الاهتمام بالصور ويشير إليها محاولا تحسسها إن كانت بارزة بالشكل اللازم، ولعل أكثر المثيرات المنبهة للطفل في هذه المرحلة هي الألوان (الأحمر الأخضر الأصفر، البرتقالي، الأزرق...) وهي ألوان قوية ومتباعدة.

3- وأما المرحلة الثالثة: فتنطلق من السنة الثالثة من العمر وفيها يبدأ في الاستماع إلى الشروح المقدمة حول الصور ويستمع لقصصها البسيطة ويبدي اهتماما خاصا بالصور ومعانيها، مع القدرة على التعبير عنها مثل تسمية الحيوانات، وفي هذه المرحلة تبدأ عملية الحفظ للحكايات المروية مع محاولة حكيها للعائلة بأسلوبه الخاص.

4- وفي المرحلة الرابعة: التي تبدأ من السنة الرابعة يحفظ القصص ويحاول أن يحكيها ويوسع خياله كما يحب التعليق على كافة الصور ومعانيها ولماذا هي بهذا الوضع أو ذاك؟.

5-وأما الخامسة: وهي في السنة الخامسة فيحاول الطفل أن يقرأ الأحرف ويستوعب مدلولاتها، وإن كانت عملية استيعاب الحروف تبدأ من السن الرابعة أو قبلها بقليل حيث نلاحظ على الطفل بدل الجهد في تصحيح بعض الحروف مثل الفاء والهاء (فار- هار) أو الحاء و الخاء (خالي –حالي)

6- وفي السنة السادسة :يبدأ تعلم القراءة اعتمادا على الصور والأشكال التوضيحية ويسعده أن يجد من يقرأ له القصص المطولة مع الصور المعبرة لها ويسره تفاصيلها وأحداثها.

7-المرحلة السابعة : مابعد (8)الثماني سنوات، وهي مرحلة التعلم والاكتساب حيث المدرسة والبيت يطوران الملكة القرائية للطفل، مما يمكنه من القراءة والفهم وإعادة التعبير أو الإنتاج النصي بكثير من الفاعلية والإدراك.

خامسا-أهمية القراءة والمطالعة عند الطفل:

يرى الباحثون أن ما نسبته 96% من القدرات العقلية عند الطفل في حالة جاهزية تامة للتطوير، ومن أبرز العوامل المساعدة في تمكين القدرة العقلية من التطور نجد (القراءة)، حيث تؤثر القراءة على دماغ الطفل من خلال تنمية الجانب الإدراكي و المعرفي واللغوي بشكل كبير، إذ أن قراءة القصص والكتب من قبل الطفل أو والدي الطفل يجعل الأخير يتعرف على مصطلحات لغوية مختلفة عن تلك التي يتعاطى معها في حياته اليومية، فالقصص في العادة تحتوي على مفردات وأشكال غريبة عن يوميات الطفل مثل الأمير، الحوريات، الغول، الأسود وغيرها، مما سيزيد حصيلة الطفل من الكلمات ويطور قدرته على التواصل مع الآخرين، وعادة مايكون تركيز الطفل في مراحله الأولى من القراءة والتلقي مبنيا على "الحسية وقائما على الصور، لأنه لا يستطيع أن يدرك المعاني المجردة أو التسلسل الزمني"[6]، فالصورة هي المسرع لعملية التلقي والوعي عند الطفل، أو لنقل أنها

تختزل عليه المسافات وتقرب منه المدركات المجردة، فنظر ةالطفل إلى صفحات الكتاب الملونة، ومراقبته لتقليب الصفحات، ستجعله وبخبرته البسيطة يستنتج أنه كلما قلبت هذه الصفحة ستظهر صور أخرى لها علاقة بهذه الصورة، مما يجعل الطفل يحاول ذهنيا التنبؤ بما سيأتي في الصور القادمة، و بالتالي تطوير قدرته على التخيل و التوقع.

ولا تقتصر أهمية القراءة على الفائدة اللغوية للطفل، بل إن مجرد جلوسه بين والديه وهو يحمل الكتاب بين يديه، وشعوره بالاستمتاع بما يسمع، وسعادته بنبرة الصوت التي تتغير أثناء القراءة لتشد انتباهه، ستخزن في عقله الباطني مشاعر ايجابية تجاه الكتب مما سيجعلها في المستقبل (القراءة) من هوايته المفضلة بسبب الذكريات الجميلة للكتاب في لاوعيه،وكذلك يتعين تقديم المواصفات الحسية له، لأن استيعابه يقوم على الجانب المادي المتصل بالمحسوسات التي تقربه من الواقع فنقول له دجاجة حمراء، بقرة بيضاء وكلب أسود ورجل طويل، فالوضوح أهم صفة يتعين مراعاتها في مخاطبة الطفل، لذلك يرى البعض أنه "كلما صغر سن الطفل، وجب الإقلال إلى أقصى حد ممكن من تفاصيل الرسوم المقدمة إليه، مع الاهتمام بوضوحها الشديد، ذلك أن كثرة التفاصيل، أو الإعتام أو الغموض... يربك الطفل ويشتت اهتمامه، ويؤدي به إلى صعوبة الفهم، تم ينتهي به إلى الانصراف عن الكتاب"7 ، وهنا ننبه إلى عوائق المطالعة، وهي التي تتعلق بالغموض سواء في الصورة أو في اللغة، إذ أن التشويق في مخاطبة الطفل هو ما يحبب لديه متعة التلقي وحسن الفهم والإدراك، فكلما كانت الحماسة وأشتد الصراع بين الخير والشر كلما كانت استجابته واعية ومنتجة للمعاني.

يتحدث الكاتب والشاعر "محمود شلبي" عن تجربته في أدب الطفل فيقول بأنه يتعين علينا:"البعد عن التجريد والذهنية والصور العقلية الفلسفية المبهمة...لأن الطفل يتعلق غالبا بالعالم الحسي، هذا العالم الذي يمازج بين الخيال والواقع معا"[8]، وهي رؤية نابعة من عمق التجربة الإبداعية التي يخاطب من خلالها الجانب الحسي في شخصية الطفل، وهي الطريقة التي كان ينادي بها حتى نقاد الشعر في المرحلة الجاهلية وصدر الإسلام، حيث مراعاة الصورة العقلية بعيدا عن ميتافيزيقا وعالم المثل.

إن الوعي بالقدرة الذهنية للطفل يمثل ضرورة حتمية يتعين على المخاطب أو الكاتب مراعاتها أثناء الخطاب، لأن طبيعة المرسل إليه –كما حددها رومان جاكبسونRoman Jakobson- هي التي تحدد نوعية الرسالة.

1- الكتاب وأهميته للطفل:

يعد الكتاب الصديق الوفي للطفل، فمن خلاله يتمكن من مشاهدة ذاته واكتساب شعوره عبر الصور المتنوعة والمختلفة، كما يعمل على تقوية الملاحظة عنده ويجعله أكثر ذكاء؛ لأن الطفل دائما يحاول الاستفسار عن بعض الأمور التي يشاهدها فالكتاب، مما ينمي عنده حب المعرفة ويقوي لديه روح الإدراك والوعي، فمع الوقت يصبح الطفل أكثر اهتماما بالقراءة وتعلقا بها؛ لأن هذه الأخيرة ليست ممارسة سلبية أو شكلية، إنها "عملية مركبة: اجتماعية، وثقافية، ونفسية، وعلاجية... تعمل على بِناء وتكوين الشخصية المستقلة والفاعلة في المجتمع من خلال المساهمة في البناء الحضاري للأمة عبر قنوات التواصل الاجتماعي بين جميع شرائحِ المجتمع"[9].لذلك فإن أول ما يخلقه الكتاب عند الطفل هو:

أ-**روح التملك**، حيت يحس الطفل بامتلاكه لهذا الشيء وامتلاك حرية التصرف، مما يجعله أكثر انجذابا إليه فتزداد العناية به ويزداد الاهتمام بتفاصيله، ونلاحظ ذلك خلال مراحل عمرية متتالية. والحقيقة أن الشعور بالتملك خاصية فطرية تزداد حضورا مع غرابة الشيء وجدته، وهي أسباب كافيه لمثل هذه العملية

ب-**التعلق بالمظهر** أو الإطار الخارجي للكتاب من صور ومؤثرات تشكيلية وألوان، فالكتاب يحمل عالما جديدا للطفل قائما على الصور البصرية المثيرة والفاعلة في تحريك انتباهه، ولعل هذا الشكل هو ما يحرك بقوة غريزة المطالعة والاكتشاف ويبين درجة الذكاء المستقبلي عند الطفل.

ج-**الفضول المعرفي** للبحت في محتوى الكتاب: غالبا ما تتملك الطفل رغبة كبيرة في الوعي بالمحتوى الذي يحمله الكتاب، وهذا راجع لتطور الملكة التخيلية بداخله من جهة، ومحاولة اكتساب المهارة في الفهم والتأويل من جهة ثانية، فهو يعمل على تحقيق الانجذاب الشعوري نحو هذا الشيء الجديد، بغية الوقوف على مكامنه الداخلية وتحقيق الرغبة منه.

د-**الرغبة في التعلم والاكتساب**: كلما تقدم الطفل في السن، كلما زاد اهتمامه بالمطالعة والقراءة والاكتساب، لتأتي النصوص القصصية في مقدمة النماذج المحببة لديه بوصفها النسيج الذي يجعله ينضم لدورة الحياة وينال نصيبه من التأقلم والمواجهة، فيتحقق الاكتساب عبر قنوات مختلفة إرادية ولاإرادية.

هـ-**محاورة النص** من خلال الانجذاب والقبول والإعجاب والنفور والرفض: تكمن هذه الأهمية من خلال القراءة الإنتاجية في السنوات المتقدمة والمتأخر عبر مستويات متعددة، حيت يمكن للطفل المتعلق بقراء النصوص القصصية تفسير الخطابات والوقوف على معانيها وقيمها، فيميز بين التسلية والإفادة الحياتية.

3-أثر المواد المقروءة المحببة على ذكاء الأطفال:

توصل باحثون اسكتلنديون وبريطانيون إلى أن القراءة منذ الصغر يمكن أن تزيد من مستويات الذكاء وتعزز القدرات المعرفية العامة لدى الإنسان فيما بعد، وذلك وفقا للرابطة الألمانية لأطباء الأطفال والمراهقين في موقعها على الإنترنت، " ولإثبات ذلك قارن الباحثون الإقبال على القراءة ونتائج اختبارات الذكاء لدى نحو ألفي طفل توأم أحادي الزيجوت، أي الذين ينتجون عن انشقاق بويضة واحدة ، وتراوحت أعمار الأطفال التوأم الذين شاركوا في هذه الاختبارات بين 7 و9 و10 و16 عاما، ونظرا لأن هؤلاء الأطفال التوأم كانوا متطابقين في الجينات الوراثية ونشأوا داخل أسرة واحدة، لذا استطاع الباحثون فحص تأثير الخبرات الخارجية التي تعرض لها كل طفل بعيدا عن توأمه والتي حفزته على القراءة أكثر من أخيه، كالاقتراب من معلم أو صديق حفزه على القراءة مثلا.

واكتشف الباحثون أن الأطفال التوأم الذين يواظبون على القراءة بشكل أكبر من إخوانهم، حصلوا على نتائج أفضل في اختبارات الذكاء العام"[10].كما كشف باحثون بجامعة "إدنبرة" البريطانية أن القراءة تزيد مستويات الذكاء خاصة لدى الأطفال، إذ أن الذين يتعلمون مهارات القراءة في عمر سبع سنوات يسجلون أعلىالدرجات باختبارات الذكاء، بالمقارنة مع أقرانهم من ذوي المهارات الأضعف بالقراءة.

ولعل من أهم الآثار التي تتركها عملية القراءة والمطالعة بمختلف أشكالها على ذكاء الطفل:

-الوعي بالماضي والحاضر وتشكل الخبرة وبالتالي معرفة الذات بالشكل اللازم، فـ" أدب الطفل أقوى سبيل يعرف به الصغار الحياة بأبعادها الماضية والحاضرة وحتى المستقبلية"[11]

- ثراء المحصلة اللغوية والمعرفة العامة للطفل، فالطفل يتفاعل مع الكلمات الجديدة ويحاول تقليدها قدر المستطاع كما أنه يتمكن من معرفة الضمائر وصيغ التذكير والتأنيث، واكتساب قاموس لغوي ثري مع مرور الوقت.

-المساعدة في تحقيق التفكير المجرد للطفل، حيث يقول الدكتور ستيوارت ريتشي من جامعة إدنبرة الاسكتلندية: "من الممكن أن تساعد القراءة على التدريب على التفكير المجرد لدى الأطفال؛ لأنهم عادة ما يضطرون لتخيل الأشخاص والأماكن والأشياء الغريبة بالنسبة لهم أثناء القراءة" [12] ، مما يساعد في تحرك الخيال وتنميته، فالخيال يتأثر دائما بالصورة المقدمة للطفل، وهذه الصور قد تكون أشكالا أو رسوما، وقد تكون حكايات مروية ومقروءة، مما يترك الأثر التفاعلي المتصل بالسلوك والوعي، كما أن هناك دراسة كندية تقول أن: "القراءة تعزز المهارات الاجتماعية لمن يقرؤون القصص الخيالية، فتكون لديهم القدرة على فهم معتقدات وطرق تفكير ورغبات المحيطين بهم بالمقارنة مع غيرهم13.

- التفاعل مع أسلوب الحوار المطروح على مستوى القصص، وهو ما يطور القدرة الذهنية للطفل ويولد لديه الحجة والشخصية في معالجة القضايا اليومية، وتكثر الأسئلة عند الطفل في المراحل الأول التي تمثل بداية الاستكشاف والمعرفة.

- تذكر البطولات والمغامرات وحوادث الشجاعة، والتفاعل معها عن طريق التقليد للشخصيات البطلة، ومحاكاة أفعالها وبطولاتها، وهي علامة على بداية أسلوب التحدي على مستوى الشخصية لدى الطفل، وهذا بفضل مطالعة القصص البطولية ومشاهدتها في التلفاز أو الإنترنيت، وهنا نستحضر الفارق في الرؤية للحياة بين الصغير و الكبير، فالأول يراها ميدان للحياة واللعب و اللهو والفرح والتسامح، أما الثاني فيراها سوادا قاتما وصراعا فانيا تتجاذبه الحروب والثورات.

- جلب المتعة والسرور والتسلية، من خلال تخير المواقف الطريفة والمضحكة، حيث يزداد وعي الطفل بالمواقف الطريف و المضحكة وهي علامة دالة على قوة التركيز والإدراك عند الطفل، لأن الضحك أثناء القراءة يتطلب وعيا وإدراكا واسعين لتحريك الفهم والاستيعاب، وهو أمر متصل بالنظرة التفاؤلية للطفل في مراحله الأولى

- الإجابة عن الأسئلة التي تشغل أذهانهم، فالكاتب يعمل على "توصيل المعرفة الواعية بنوع الأدب الذي يقدمه للأطفال"[14].

- التحدث وفهم وإدراك جوانب مهمة من عالم الحيوان، ولعل هذا الأخير هو الأكثر غرابة والأشد قربا من الطفل في مراحله المبكرة، لأنه يسقط كل ملاحظاته ونتائجه المنبثقة من الحيوان على الإنسان والعكس.، وهي علامات دالة على تفاعل العقل وقوة الذكاء في العملية الإسقاطية.

- تهتم بالتشويق (القصص الدينية) وتتضمن قيم المجتمع ومفاهيمه بأسلوب سلس بسيط. خاصة في مسألة الوعي بالخير والشر والجيد والقبيح.

4-مظاهر التفاعل في القراءة عند الطفل:

-التقليد الحركي :فالعنف الملاحظ في البطولات ينعكس على الطفل بالتقليد وإظهار البطل الخارق. فهو مولع بتقليد هذه السلوكات لأنها مبنية على الغلبة والسيطرة والتحكم.

-التقليد العاطفي و النفسي: مثل الشعور بالفرح والسعادة نتيجة انتصار البطل الخير .

-التجاوب: مع بعض المواقف اليومية الاجتماعية و الدينية .

-القدرة على تفكيك الرموز اللغوية: فقدرة الطفل على "استيعاب اللغة هي من المؤشرات القوية لنمو قدراته العقلية، فاللغة عبارةٌ عن رموز ابتكرها الإنسان لتحمل معاني تسهل الاتصال البشري، وعلى هذا فإن اللغة تسهل عملية التفكير وتسمح بأن يكون التفكير أكثر تعقيدًا وكفاءةً ودقةً، وأنها (اللغة) بتركيبها الخاص تحدد مجرى التفكير ونوعه"[15].

سادسا-القصة والطفل:

1-القصة المكتوبة:

يقول الباحث علي الحديدة في حديثه عن العلاقة بين الأدب والطفل: "الكبار هم الذين يصنعون أدب الأطفال، لكن الصغار هم الذين يكتبون له الخلود"، ولعل هذا راجع للثراء الفكري المتوالد من تلقي الطفل للنص الأدبي المتشكل من الرواية أو القصة أو الشعر، و المؤثر على عملية التنشئة. وتعد القصص المنشورة في مجلات الأطفال واحدة من الأساليب الفعالة في عملية التنشئة الاجتماعية، فهي تعمل على إكساب الطفل القارئ مجموعة من: القيم، والاتجاهات، والأفكار، واللغة، وعناصر الثقافة والمعرفة مما يسهم في تكوينه على نحو يختلف تمامًا عن الطفل غير القارئ. وتحتل القصة مكانة متميزة عند الطفل تفوق الأنواع الأدبية الأخرى، بما تمتلكه من قوة تأثير ومتعة لا يملكها غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى الموجهة إلى الطفل. ويعود مصدر هذه الأهمية إلى أن القصة تعبر عن حاجة الأطفال إلى الاستطلاع ورغبتهم في معرفة العالم المحيط بهم، وتعكس القصة أسلوب حياة الجماعة التي يهيئها الكبار لعالم الأطفال، لهذا فهي ترمز إلى موقف أعضاء المجتمع من أساليب التنشئة الاجتماعية واتجاهاتهم نحوها.

إن القصة بوصفها تلك الحكاية القصيرة التي تتضمن غرضًا تربويًّا أو فنيًّا أو أخلاقيًّا أو علميًّا أو لغويًّا أو ترويحيًّا، والتي تعد وسيلة من وسائل نشر الثقافات والمعارف والعلوم والفلسفات، هي من أشد ألوان الأدب تأثيرًا في النفوس، وخاصة الأطفال إذ تتضمن تلك المثيرات الباعثة على تشكيل سلوكهم وتكوين شخصياتهم[16].

ولقد صدر في سنة 2013 بدمشق كتاب تحت عنوان "القصة في مجلات الأطفال ودورها في تنشئة الأطفال اجتماعيًّا" للدكتورة أمل حمدي دكاك"، ويتناول هذا الكتاب أهمية القصة في تنشئة الأطفال، كما يشرح أهداف البحث في معرفة العناصر الأساسية لمضمون القصص المنشورة في مجلات الأطفال الموفَّرة في سورية، وواقع الدور الذي تقوم به في تنشئة الطفل اجتماعيًّا، ومدى انسجام ما ينشر من قصص مع أهداف تنشئة الأطفال في محاولة لتكوين وعي علمي للدور الكبير والمهم للقصة في عملية التنشئة، التي تعتبر من أهم القضايا التي يتناولها علماء النفس والاجتماع بالدراسة والتحليل، نظرًا إلى أهميتها في عملية التطور بمختلف أشكاله.

وتقول فيه :"تعد القصص المنشورة في مجلات الأطفال واحدة من الأساليب الفعّالة في عملية التنشئة الاجتماعية، فهي تعمل على إكساب الطفل القارئ مجموعة من القيم والاتجاهات والأفكار واللغة وعناصر الثقافة والمعرفة تسهم في تكوينه على نحو يختلف تماماً عن الطفل غير القارئ.

وتحتل القصة مكانة متميزة عند الطفل تفوق الأنواع الأدبية الأخرى، بما تمتلكه من قوة تأثير ومتعة لا يملكها غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى الموجهة إلى الطفل"[17].

2-القصة الشفوية:

لايفوتنا خلال حديثنا عن القصة المكتوبة ودورها في تنمية القدرات الذهنية للطفل، أن نتحدث عن القصة المسموعة أو الشفوية، التي ترويها الأمهات أو الجدات أو القاصين للأطفال في السن الأولى أو عبر مراحل متعاقبة، والتي تحمل أشكالا متعددة كالأغنية والسرد، وهنا تقول الباحثة "إيمان بقاعي" أن الأدب الشفوي الذي أشارت إليه الموسوعة البريطانية الحديثة ....التهويدة...هو عنصر مهم من عناصر أدب الطفل"[18].

فهذا النوع من القصص يعمل على تهيئة الطفل للمراحل القادمة من خلال تمرينه على الحفظ والانتباه والتركيز والتفاعل، حيث يتجاوب الطفل مع سلوكات وحركات القاص كالابتسامة والغضب والتهويل وتحريك اليدين وتغيير الصوت، وينصح الباحثون هنا بعدم سرد الحكايات المرعبة التي تؤدي إلى تسرب الخوف إلى نفسية الطفل وإلى شخصيته، لذلك يتعين تقديم الحكايات المسلية والمرحة التي تجعل الطفل يتجاوب معها بالشكل الإيجابي، مثل قصص الحيوان (حكاية الضفدع) (الغزالة المغرورة) و... وبالرغم من انتقال القصة من طور المشافهة إلى طور الكتابة، إلا أن ذلك لم يمنعها من الحفاظ على علتها الجمالية والتأثيرية كما تقول الكاتبة سيسيليا ميرايلC.Meraeles "فهذا هو الأدب الشفوي الذي، عندما كتب، كان بمثابة تدوين فولكلوري، لكن تدوينه لم يمنع من استمرارية الحياة تحت ذلك الشكل الأول الخاص به"[19].

3-القصة والشخصية:

لاشك أن هناك علاقة تكاملية متماسكة بين القصة بوصفها تشكلا دلاليا لمعطيات الواقع والحياة، وبين الشخصية التي هي اكتساب وتلق مستمر لصراع الوجود، خاصة عندما يكون المتلقي هو الطفل، وهنا يقول الباحث هاذي نعمان الهيتي:"كل مايقدم للأطفال في طفولتهم من مواد تجسد الأفكار والمعاني والمشاعر"[20]، والقصص التي تُعطى للطفل تأتي من البيئة القريبة، ونقصد بذلك بيئته المنزلية الصغيرة، التي يتفاعل معها والتي تسهم في تنشئة وتكوين عناصر شخصيته، وذلك من خلال مساعدته على بناء شخصيته، من خلال النماذج التركيبية المختلفة، التي تتناول مشاكله وتعمل على إكسابه العديد من المهارات التي تسهم في بناء شخصيته، كما يمكنه اكتساب الكثير من الأفكار والاتجاهات المحببة إليه والتي تلائم شخصيته المستقبيلة.

ونرى أن بعض القصص تعمل على تقديم الحلول للعديد من المشاكل التي تجابه الطفل في حياته اليومية، عن طريق اكتساب سلوك ملائم وتقليده من فحوى القصة، فالطفل يتواجد مع شخصيات ذُكرت في القصة القريبة من شخصيته، ومن خلال تفاعله معها يكتسب العديد من الخبرات والقيم والاتجاهات والعادات والأنماط السلوكية المختلفة، لهذا تقول الشاعرة البرتغالية سيسيليا ميرايلC.Meireles في دراستها حول مشكلات أدب الطفل أن" الأطفال هم الذين يحددون الأدب المفضل لديهم، لقد اعتدنا أن نصنف كل ماكتب للأطفال على أنه

(أدب طفلي)، بينما الأصح أن يكون التصنيف على أساس ما يقرأه الأطفال بفائدة وسرور، فلا وجود لأدب طفلي سابق بل لاحق"[21]. ولعل هذا مع يعزز الأهمية الكبرى لفعل القراءة والتلقي، وتحديد أثرها على مسألة الفهم والتأويل والتصنيف.فالخطاب الموجه للطفل هو الذي يمكنه أن يتغلغل إلى ذاته ويجعله يتفاعل معه بنوع من الإيجابية والقابلية والإنتاجية، حيث يتحدد سلوكه المستقبلي بشكل كبير من هذه المحمولات الفكرية والمعطيات المعرفية والثقافية، التي تقوي من شخصيته ومن سلوكه.

4-قراءة سوسيونفسية لقصة الغزالة المغرورة والذئب:

هي قصة تروي حالة الغزالة المغرورة والمزهوة بجمالها وذكائها ولكنها في الأخير وقعت ضحية هذا التعالي على الجماعة، فقد مكر بها الذئب واستدرجها إلى الغابة العميقة بحثا عن غزالة تنافسها جمالا، وذكاء، لكن القطيع هب هبة واحدة لإنقاذ الغزالة المتكبرة؛ لتعود الأخيرة إلى حضن الجماعة طالبة الصفح، وهي قصة تربوية وأخلاقية تهدف إلى تهيئة الطفل لفهم دوره داخل الجماعة وأن الفرد للجميع والجميع للفرد، وأن العبرة ليست بالجمال والذكاء، بل بالتواضع وطلب النصيحة والعلم ومساعدة الجماعة.

لاشك أن مثل هذه القصص تجعل الطفل ينفر من السلوكات القبيحة، ويكون شخصيته على أساس العبرة المستخلصة منها، فتجنح ذاته إلى النصح والطاعة، وتقدير كلام الأم، والاحتكام إلى الخبرة والتجربة والقيم، كما أنها تمثل آلية تعبيرية مساعدة على التخلص من العادات والسلوكات السلبية ، وتخلص النفس من المشاعر الخبيثة والممارسات الفاسدة.

ويمكننا القول أن هذا الطرح البسيط في لغته والكبير في مدلولاته، يمثل قوة تعبيرية وتأثيرية في الآن ذاته، فهو يعبر عن قيم الذات والهوية والجماعة والإنسانية، إنه محمول ثقافي وانتمائي يخلق استعدادا فكريا وحضاريا مستقبليا، كما يمثل فلسفة وجودية متصلة بعلاقة الفرد بالجماعة، حيت تنبع مدلولاتها من زوايا النص مجتمعة؛ لتستفز هذا المتلقي في فهمه للآخر وفي تحديد آلية التعامل معه.

5-الصورة والقصة:

الملاحظ في أدب الطفل هو مرافقة النص المصور للنص المكتوب، بل إنه يمثل خطابا موازيا يهدف إلى تقريب الصورة للذهن وتوضيحها، كما ينقلها من الإطار المجرد إلى المحسوس، ومن الصورة التخيلية إلى الهيمنة العقلية المقاربة للواقعة، والممثالة لصورة الحقيقة، "فالصور تتوزع حسب تسلسل إجباري نسبيا في إطار التشكيل الخطابي. بهذا المعنى نستطيع الحديث عن مسارات صورية: عندما تستدعي صورة، موضوعة بهشاشة صورة أخرى"[22]، أي أن هذا التسلسل الإجباري هو مايحدده الطفل في مخيلته، وفي إدراكه للصورة وفق نظام علائقي متصل بالذات، فالصور الهشة تتحول بسرعة إلى صور منتظمة وفائقة الدلالة، ومن خطاب الحيوان إلى خطاب الفرد.

بهذا يمكن القول أن "الصورة الليكسيمية تتمظهر مبدئيا في إطار الملفوظات، إنها تتجاوز بسهولة هذا الإطار وترسم شبكة تصويرية علائقية تنتشر فوق متواليات كاملة مكنونة فيها، فالصور تجتمع لتفسح المجال أمام تشكيلات خطابية"[23]. هذه التشكيلات هي مجمل الفائدة المحصلة من فعل التخاطب والمحاورة النصية بين الطفل والقصة أو القصيدة أو...

وحول باب الصورة الذهنية والبصرية يتعين في أدب الطفل مراعاة الطبيعة بوصفها المنطلق الأولي لبناء الحقيقة عند الطفل، ولعل هذا ماذهب إليه علماء النفس والمفكرون، فقد "أكد علماء التربية المحدثون، ومنهم جون جاك روسوRousseau j.زوبستالوتزيj.h.Pestalozzi، على ضرورة نقل الطفل إلى أحضان الطبيعة، وضرورة إعطاء الطفل الحرية التامة في التفكير والتعبير والتساؤل والتخيل والتصور...وأن على الأدباء أن يراعوا مثل هذه السيكولوجية في الأطفال"[24] وهي سيكولوجية تصويرية مرتبطة بالترسبات الحسية التي يواجهها الطفل في يومياته، كما أن استنطاق هذه الصور لا يتحقق عند الطفل المريض الذي يعاني من اضطرابات عقلية، وبالتالي فالتأويل الدلالي من شأنه التحقق من القدرات الإدراكية للطفل، لأن هذه "الصورة زيادة على ملامحها فهي معبر ومؤثرة وتشد الطفل إليها شدا وتجعله يتابع الأبيات بشغف وتطلع كبيرين"[25] وهذا الشد والترابط يكون عند الطفل السوي كما أنه يتمايز عند البقية وفقا لجانب الذكاء الخاص بكل فرد، فالاستعدادات الذهنية مختلفة ولكنها تتطور بفعل الممارسة والدربة المتواصلة.

وانطلاقا من فعل الصورة وتحليلها يمكن القول أن الوعي بالتشكيلات الرمزية والتصويرية واللغوية يتجاوز حدود التمثيل المسرحي أو الشعري أو القصصي عند الطفل، إنه يمثل قمة الحقيقة والصفاء والحضور، ولعل هذا هو وجه الخلاف بينه وبين الكبار، حيت يبرز ذلك الربعي بن سلامة في حديثه عن الفارق التفاعلي بين الكبير والصغير فيقول:"الفارق بين المسرح عند الكبار وهذا النوع من المسرح عند الصغار يكمن في أن الأول يقوم فيه الممثل البالغ بالتعبير عن أحاسيس ومشاعر غيره وهو يدرك إلى حد كبير أنه يمثل، بينما في الثاني يقوم الممثل الصغير بالتعبير عن أحاسيسه ومشاعره هو، وهو لا يدرك أنه يمثل"[26]. وهو مايعبر عن حالة من العفوية تكون جوهر العملية التواصلية، وجوهر القصد التفاعلي.

6-القراءة والخط:

من التفاصيل الهامة والمرتبطة بأدب الطفل هي نوعية الخط الذي تكتب به القصة أو النص بشكل عام، حيت يغلب الخط السميك وهذا راجع لطبيعة البعد التصويري المؤثر على الطفل، بالإضافة إلى تسهيل القراءة والتلقي، وفي قصة الغزالة والذئب تتمظهر لنا معالم الخط السميك الذي كتبت به، وهي إشارة نوعية لطبيعة المتلقي من جهة، وتنبيه له من جهة أخرى، وذلك راجع لكون هذا الفرد الصغير من المجتمع يميل إلى الصور الكبرى ولا يستطيع التدقيق في التفاصيل، كما أن مردود العملية التواصلية محدود ومرتبط بتوصيل الفكرة أو الخطاب أو الرسالة عبر أقصر طريقة ممكنة، ولعل هذا الخط أكثر ارتباطا بالجانب الجمالي منه بالدلالي، فالجمالية هي ذلك الذوق الذي يتحقق في كل حضور أو كل تمثل لشيء ما، ولهذا "فالتربية الجمالية التي نريد تربية لذوق المتعلم، وتهذيب لنظرته تجاه الأشياء وجوهرها، وليست التربية الجمالية مرتبطة بمادة مدرسة بعينها أو مكونا من مكونات المادة، فتخصص لها الدروس المقررة والساعات المحددة"[27]، ومعناه أن الذوق يتحقق من خلال الصورة والخط والخطاب، وبما أن الخط له دوره في عملية التلقي والقراءة فإنه يتعين على الكاتب مراعاة تأثيره الجمالي على الطفل خاصة في تمييز الحروف عن بعضها بالنسبة للمبتدئ أو الوقوف على جوانب أو جماليات الصمت والوقف عند المتمرسين.

إن الوقوف على نوعية الخط المكتوب، بوصفه من العتبات النصية في الكتابة الإبداعية عامة وفي أدب الطفل خاصة، يعني توجيه المتلقي إلى مسار خاص للكتابة، فطبيعة الخط تحدد نوع المخاطب كما تبين نوع الخطاب،

ولهذا فالطفل يبقى في حاجة إلى تشكيل بصري يقوده نحو الجوانب المؤثرة والفاعلة في تفكيك وتركيب الخطاب، كما أن جمالية التلقي مرتبطة أساسا بهذه العتبات التشكيلية،

7-المحتوى والاستيعاب:

يمثل المحتوى في الأعمال القصصية القيمة المضافة بالنسبة للأطفال المتعلمين خاصة عندما "**يتناسب مع النمو الجسمي والعقلي، وبما يعلي من إدراكهم للجمال الفني** "[28]، ولعل هذا مايتوفر في قصص الحيوان التي تمثل المرحلة الثالثة من العمر، والممتدة من السن الثالثة إلى السادسة وتستمر إلى غاية سن الثانية عشر، حيث جاءت قصة الغزالة والذئب لتربط الواقعي بالمتخيل وتعزز روح الاكتشاف والمواجهة عند الطفل، وعلى الرغم من أنها تجعله "**في حالة شديدة من الخوف، لكن قلما نجد طفلا يهرب من هذه الحالة، إنه يظل يتابع حوادث الخرافة، بل يزيد التصاقا بها وانفعالا بوقائعها** "[29].

فهذا الاستحضار والتهيئة النفسية المقدمة للطفل تعمل على تقوية الحس الإدراكي والأخلاقي لديه، وتبعث بداخله حالة التحدي والمواجهة، خاصة عندما يواجه كائنا بسيطا وضعيفا كائنا خارقا وقويا ويتفوق عليه بروح الحكمة والإيمان بالحقيقة وقوة الشعور، فهذا التقديم يفتح لنا الباب أمام قارئ مكتشف وبناء، يستمد قوته من هوامش النصوص وصور القصص وعتمات الخيال والظلم، ليولد لنا شخصية مستقبلية متكاملة ومتزنة وقوية، أو لنقل شخصية إيجابية، ولهذا يتعين علينا "النظر بصدق وواقعية وحماس لهذا الكائن الذي يطالبنا بتحقيق ذاته الأدبية من خلال ما نقدمه له من فنون أدبية مختلفة"[30] فالطفل هو من يطالبنا بتحقيق ذاته في هذه الأعمال الإبداعية، والهدف منها هو تكوين هذه الذات وجعلها واعية بمعاني الوجود والحقيقة، وبعيدة عن العزلة وروح الانهزام والتبعية الفكرية.

ولا يتحقق كل هذا إلا باللغة التواصلية التي يجب أن تراعي خصوصية المتلقي، بتوظيف مفردات محددة تتسم بالقرب والبساطة والتداول، حيث يتعين "إدخال بعض المفهومات الخاصة والمفردات الجديدة إلى معجم الطفل من خلال لغة بسيطة وجديدة، وذلك بتوظيفها في السياق توظيفا مريحا وسهلا"[31]. وفي القصة المختارة نجد أسماء الحيوانات المتداولة في المجتمع، والمحملة بالدلالات والمفاهيم اليومية للطفل، يضاف إلى ذلك اللغة البسيطة والمتداولة والتي تساعد الطفل على الشعور بالذات واستحضاره لفعل التمثيل الذاتي، وهو ما يحرك الخيال الإبداعي بداخله ويقوى نسبة الذكاء والمعرفة بداخله، فهذا الشعور المتعلق بتبني المشهد والرغبة في تمثيله هو نتاج حركة ذهنية، وفعل إنجازي مرهون بقوة الحضور والفهم والتأويل، "إن أداء الأدوار والتمثيل نشاط عقلي وجسدي يجلب متعة للمؤدين والمشاهدين فلماذا نحرم هؤلاء الصغار الذين كثيرا ما يحلو لهم أن يؤذوا أدوارا غير أدوارهم في الحياة"[32]، كما أنه يمثل حالة الانشطار الدلالي للنصوص الأدبية في علاقتها بفعل القراءة "فعملية القراءة ليست ذاتية محضة، ولاموضوعية، بل هي فعالية تتأرجح بين هذين القطبين، وهذا دافع إلى القول: إنه ليس هناك جوهر مطلق في النص بل هناك تجديد مستمر في محتوى النصوص"[33]، وهو ما يجعل الطفل أكثر انفتاحا وأكثر مرون في تخزين المعارف والسلوكات المنبثقة من القصة، فيحدث التفاوت بين الأطفال نتيجة الاختلاف في القدرات الذهنية لكل فرد.

خاتمة:

يقوم الاستثمار الحقيقي والمعاصر عند الدول المتقدمة على بناء شخصية قوية ومؤثرة للطفل، عبر مراحل تشكله المختلفة، ولذلك فإن تجاهل هذا العنصر الجديد في مراحل نموه ليس تقصيرا وإهمالا لحقه فقط، إنه جريمة مكتملة الأركان بأبعادها الفكرية والثقافية والإدراكية، كما أنه إساءة لهذه الذات الناشئة وتخل عن المسؤوليات التربوية والتكوينية، التي يجب على الكبار والمثقفين والمبدعين بصفة خاصة التحلي بها ومراعاتها، من أجل إنجاح هذا المشروع المستقبلي الثمين والهادف، ولن يكون ذلك إلا بالعمل على تطوير قدراته الإدراكية والمعرفية وتوسيع نطاق الذكاء بداخله عبر وساط مختلفة أهمها القراءة والمطالعة والتفاعل - الملاحظ من خلال هذا التقصي والبحث حول أثر القراءة في تطوير الذكاء والفاعلية الإدراكية عند الطفل، أن هذا الأخير سريع الاستجابة والتلقي لهذه الخطابات، كما أنه يعمل دائما على مقارنة المشاهد التمثيلية بما يجري حوله من أحداث ووقائع. مما يجعل سرعة التأثر حاصلة وكذلك سرعة التسجيل و التحصيل.

-ارتباط الطفل بالجوانب الشكلية قبل اهتمامه بالمتن، مثل تلقي الأشكال الهندسية والرسوم والألوان، تم الانتقال إلى طبيعة الخط المكتوب، حيث الاهتمام وحب التطلع والاكتشاف لمعاني الرسوم اللغوية، فالأكيد أن الطفل متصل دائما بالألوان والقوالب الجاهزة والقريبة منه، ولذلك فهو مولع بالمؤثرات البصرية قبل الذهنية.

-اهتمام الطفل بالجزئيات والتفاصيل الدقيقة، برغم عدم انتباهنا لذلك، خاصة ما تعلق بالمرجعية التاريخية المتعلقة بالعقد النفسية، ومن ذلك ماتعلق بـ: الضرب، الأكل، الشرب، اللعب، الغابة، البستان، الحقل، القوة، الأم، الأب، الغزال ، القط، الكلب، الذئب، الأرنب... وهي كلمات تحمل بداخلها ملامح الشخصية المستقبلية، فاللفظ المسيطر على ساحة الشعور هو من يصنع التوجه والقناعة البعدية للطفل في المستقبل، ولذلك يركز الكتاب على اختيار نوعية الملفوظ وطبيعة الصراعات والمضامين الإبداعية.

-يمكن اعتبار القصة أكثر الأنواع الأدبية قربا من لطفل، وأكثرها فاعلية في بناء شخصيته المستقبلية، من خلال توسيع الإدراك وتقوية الذكاء، وهذا راجع لطبيعة البنية التخيلية والتصويرية، التي تتأسس عليها بوصفها محاكاة لعالم الواقع وتجاوز له في مرحلة من المراحل.

- لاشك أن استفادة الطفل من تلقي النصوص الأدبية تتجاوز حدود المدرك بيننا، إلا أن فوائد هذا الاستقبال لا تظهر دفعة واحدة بل تأتي على مراحل متعاقبة تتوافق وطبيعة المرحلة، لأن الطفل في تكوينه يستفيد من عملية الاكتساب والاسترجاع، وهذه الأخيرة هي أهم رافد في تقوية وتمتين الشخصية الداخلية.

هوامش وإحالات المقال

[1] جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة (ط ف ل)، 2005.

2نمو الطفل والمراهق: أ. وولفوك .ن. بيري، تر. معاوية م. أبو غزال. الفرحاتي السيد محمود، دار الفكر،2015، ص24.

3- العربي اسليماني: إشكالية القراءة والتصحُّر المعرفي، مجلة علوم التربية ، المجلد الثالث، العدد 23،2002، ص95.

[4] بسام قطوس: استراتيجية القراءة، دار عالم الكتب ، القاهرة ط02، د ت، ص19.

[5] بسام قطوس: استراتيجية القراءة، المرجع نفسه، ص 19

[6] نجيب الكيلاني: أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الإسراء، قسنطينة الجزائر، ط02، 1991، ص14.

[7] عبد الرزاق جعفر: أدب الأطفال، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1979، ص62.

[8] مجلة فصول: حوار مع الشاعر والباحث محمود شلبي، مجلة ثقافية شهرية، السعودية العدد 129، نوفمبر 1987، ص36.

[9] https://www.alukah.net/social/0/79703/ القراءة منهجا وعلاجا: مولاي المصطفى البرجاوي.. 2014 ديسمبر

[10] http://portal.sdl.edu.sa/arabic/دراسة-القراءة-تزيد-مستوى-الذكاء

[11] علي الحديدي: في أدب الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، ط04، 1988، ص 62.

[12] http://portal.sdl.edu.sa/arabic/دراسة-القراءة-تزيد-مستوى-الذكاء.

[13] فوائد القراءة -صحة وذكاء – عمر مديد- http://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2016/10/14

[14] علي الحديدى: في أدب الأطفال، مرجع سابق، ص 62.

[15] http://kenanaonline.com/users/kidsAtoz/posts/135432.

[16] http://www.alukah.net/literature_language/0/52519.

[17] أمل حمدي دكاك: القصة في مجلات الأطفال ودورها في تنشئة الأطفال اجتماعيًا، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012، ص 102.

[18] إيمان بقاعي: قصة الأطفال والناشئة في لبنان -جدلية الشكل والموضوع، دار النخبة،بيروت، ص20.

سيسيليا ميرايل: مشكلات أدب الطفل، تر:مها عرنوق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،ط01، 1998، ص25.17

[20] هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال فلسفته فنونه وسائطه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، د س، القاهرة ،مصر، ص155.

[21] سيسيليا ميرايل: مشكلات أدب الطفل، ص 26.

[22] جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيمائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2007، ص145.

23 جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيمائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، المرجع نفسه: 145.

24محمود شلبي: أدب الطفل، (حوار أجراه محمد حمود السويكري) مجلة فيصل، العدد 129، ص37.

25محمد الصالح خرفي: أدب الأطفال في الجزائر –مجموعة دراسات نقدية- موفم للنشر- الجزائر، ك01، 2015، ص72.

[26] الربعي بن سلامة: من أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربي، ص129.

[27] عادل ضباغ: التربية الجمالية والإبداع الأدبي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2019، ص24.

[28] سعد أبو الرضا: النص الأدبي للأطفال، دار البشير ،عمان- الأردن، ط1 ،ت ط1993، ص38

[29] هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال فلسفته فنونه وسائطه ، ص37

[30] محمود شلبي: حوار مجلة فصول، العدد 129، ص35.

[31] محمود شلبي: حوار مجلة فصول، العدد 129، المرجع نفسه: ص36.

32الربعي بن سلامة: من أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربي، ص128.

[33] فولفغانغ آيزر: فعل القراءة، نظرية التجاوب في الأدب، تر: حميد لحمداني الجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، فاس المغرب، 1995، ص11.

قائمة المصادر والمراجع:

***القرآن الكريم – برواية ورش عن نافع.**

1-المعاجم

1-جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة (ط ف ل)، 2005.

2-الكتب:

2-أمل حمدي دكاك: القصة في مجلات الأطفال ودورها في تنشئة الأطفال اجتماعيًا، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012

3-إيمان بقاعي: قصة الأطفال والناشئة في لبنان-جدلية الشكل والموضوع، دار النخبة،بيروت، لبنان، دط، دت.

4- بسام قطوس: استراتيجية القراءة، دار عالم الكتب ، القاهرة ط02، د ت.

5- عادل ضباغ: التربية الجمالية والإبداع الأدبي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2019.

6-عبد الرزاق جعفر: أدب الأطفال، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1979.

7-العربي اسليماني: إشكالية القراءة والتصحُّر المعرفي، مجلة علوم التربية ، المجلد الثالث، العدد 23،2002.

8-علي الحديدي: في أدب الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، ط04، 1988.

9-سعد أبو الرضا: النص الأدبي للأطفال، دار البشير ،عمان- الأردن، ط1 ،ت ط1993.

10-محمد الصالح خرفي: أدب الأطفال في الجزائر –مجموعة دراسات نقدية- موفم للنشر- الجزائر، ك01، 2015.

11-نجيب الكيلاني: أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الإسراء، قسنطينة الجزائر، ط02، 1991.

12-هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال فلسفته فنونه وسائطه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، د س، القاهرة ،مصر

3-كتب مترجمة:

13-جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيمائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، منشورات الاختلاف، ط01، 2007

14-سيسيليا ميرايل: مشكلات أدب الطفل، تر:مها عرنوق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،ط01، 1998.

15-فولفغانغ آيزر: فعل القراءة، نظرية التجاوب في الأدب، تر: حميد لحمداني ألجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، فاس المغرب،1995.

4-المجلات

16-مجلة الفيصل:حوار مع الشاعر والباحث محمود شلبي، مجلة ثقافية شهرية، السعودية العدد 129، نوفمبر 1987.

5-المو اقع الالكترونية:

[1]7- https://www.alukah.net/social/0/79703/ .

[1]8-http://portal.sdl.edu.sa/arabic/.

[1]9-http://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2016/10/14 .

[2]0- http://kenanaonline.com/users/kidsAtoz/posts/135432.